

م التاريخ : يعد التاريخ من أقدم المعارف البشرية التي عُنى بها الإنسان على اختلاف أطوار حياته، (1) في صور متفاوتة بتفاوت مداركه رقيًا وانحطاطًا التاريخ لغة واصطلاحًا ، فضال عن موضوعه وأهميته ، فالتاريخ والتورخ في اللغة : الإعمال وأما موضوعه: فالإنسان والزمان ، وأما فائدته فمعرفة الأمور على (2) وجهها، حسب تعريف السخاوي)ت902هـ(. وقد ثار جدل بين المتخصصين حول أصل كلمة تاريخ فمنهم من أكد أنها لفظ عربي انطالقًا من كون العرب أميين ولم يعرفوا حساب غيرهم من ألمم فتمسكوا بظهور الهال ومنهم من ذكر أن لفظ التاريخ مشتق من كلمة "يارخ" العبرية التي تعنى القمر. وقد نسبها البعض الآخر إلى اللغة الفارسية وعلى هذا لظهور القمر واختفائه. ولعل هذا المعنى يصبح معنى التاريخ هو حساب الأيام و الشهور وفقاً بشهادة المستشرق روزنتال وهو نفسه يهودي ، 5 العرب في بردية تعود لعام 22 هجرية في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب حينما كثرت لديه الأموال، واختلط عليه وقت توزيعها، فجمع وجوه القوم و طلب منهم الرأي استحسنة و أمر بالعمل به. ومنذ المشورة، يتمثل في التاريخ الهجري. وقد أصبح هذا التقويم عنصراً ثابتاً ذلك الوقت وضع عمر تقويمياً أساسياً في نشأة الفكرة التاريخية عند المسلمين. و الشك أن مرد هذا كان احتياج الدولة 6 الإسلامية إليه الأمور إدارية و تجارية و دينية ثم تطور معنى ومدلول وموضوع وغاية التاريخ أما في اللغات الأوروبية الحديثة، فقد اشتقت كلمة (History) من اللغة اليونانية القديمة و تحديدًا من كلمة هيستوريا (Istoria) والكلمة اليونانية نفسها أستخدمت بمعنى البحث و الاستقصاء في حوادث الماضي. و قد نشط استخدام الكلمة بازدهار الحركة السياسية و الفكرية في دويلات المدن اليونانية، و أصبحت تعنى البحث عن الأشياء الجديرة بالمعرفة. وسرعان ما أصبحت كلمة (History) تشتمل على معرفة الأحداث التي وقعت في الماضي ورافقت نمو 7 العادات و التقاليد و المؤسسات في المجتمعات قديمها و حديثها وكان هذا هو المعنى الذي استخدمه مؤرخو اليونان الأوائل مثل هيرودوت و ثوكيديدس، و قد قصره على تتبع الأحداث ما وقعت به فعال بقدر الإمكان. و مما ال شك فيه أنه قد صاحب رواية الأحداث التاريخية- رواية كل المظاهر الحضارية من ديانات و معتقدات و عمارة و فنون . وقد اتسع هذا المفهوم عند أرسطو ليعنى السرد المنظم لكل ما يتعلق بالأحداث الإنسانية أو النباتية و الحيوانية أو ما يتعلق بإنجازات الباحثين السابقين في كل مجالات المعرفة الإنسانية. تغيير و منهم انتقلت الكلمة إلى اللغات الأوروبية الحديثة مثل الإنجليزية (History) و الفرنسية (Histoire) و الإيطالية (Historie) أخرى كالألمانية 8 فأصبحت (Geschichte) . نشأة الكون كله ، بما يحويه من أجرام و كواكب و من بينها الأرض ، وما جرى على سطحها من حوادث الإنسان . حتى بدأ المؤرخون الأقدمون كتاباتهم بالكالم عن نشأة الأرض . وتابعهم في ذلك بعض المحدثين كالمؤرخ هربرت جورج ولز ، بدراسة نشأة الكون والأرض ، وما ظهر على سطحها من مظاهر الحياة المختلفة ، ثم يتدرج ولز في عرض تواريخ ألمم والشعوب والحضارات المختلفة منذ نشأتها حتى العصر الحديث 9) معبراً في ذلك عن وحدة البشرية ، على الرغم من جزئيات تواريخها وتفصيلاتها إذ هو المرأة أو 10) الأعمال والآثار . والحقيقة أن التاريخ بهذا ليس معناه جمع المعلومات فالفرق واضح بين جمع المعلومات و تحليلها أو تفسيرها ، وهو ما كان مثار اهتمام الأقدمين الذين وصفوا عملية جمع المعلومات بالسرد الإخباري بمعنى تسجيل الحوادث وسنوات وقوعها، أما التاريخ فهو الثانية أي البحث في العلل والأسباب، ألن علم التاريخ في الواقع يشتمل على نظام يتعدى مجرد التتالي في 11 الزمان . السنين والعصور، وهو يمتد ليشمل كافة الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية والدينية، هو سرد ألهم الأحداث التي حصلت في الماضي البعيد، وهو نشاط إنساني فطري وجد قبل اختراع الكتابة على هيئة أساطير وقصص وروايات ومالحم شعرية، ثم تطور شيئاً . فشيئاً أما التاريخ (historiography) فهو إعادة كتابة التاريخ بعد نقد المصادر الموجودة، وإعادة سرد ونقد وتحليل التفاصيل والخوض فيها بطريقة أكثر مصداقية، اعتماداً ويعود مفهوم التاريخ الحديث إلى أواخر القرن الثامن عشر، وبداية مستقلة. يشتمل على خطوات وطرائق محددة ، ويؤدي إلى معرفة عن الكون والنفس والمجتمع يمكن 12) توظيفها في تطوير أنماط الحياة وحل مشكلاتها" فإن ذلك ينطبق على التاريخ الذي أصبح " ثم تحليلها، والشارة إلى الروابط الواصلة . والمؤرخ مثل الكيميائي: هذا يجد وقائعه في الاختبارات 13) التي يجريها، وذاك يبحث عن الوصول إليها بملاحظته الدقيقة" رنشو الذي أقر أنه رغم أننا ال وهو ما يبدو أكثر وضوحاً عند المؤرخ البريطاني ه نستطيع من خال دراسة التاريخ أن نستخلص قوانين علمية ثابتة على غرار العلوم الطبيعية إل فيكفي في إسناد صفة العلم لموضوع ما أن يمضي الباحث في دراسته ، مع سعيه لتوخي الحقيقة، وأن يؤسس بحثه على حكم ناقد اطرح منه هوى النفس ، وبعاد نفسه عن كل افتراض سابق، مع إمكان التصنيف والتبويب فيه، فالتاريخ ليس علم تجربة واختبار ولكنه علم نقد وتحقيق ، فكل من المؤرخ والجيولوجي يدرس آثار الماضي ومخلفاته لكي يستخلص ما يمكنه استخلاصه عن الماضي والحاضر على السواء ، ويزيد عمل المؤرخ عن عمل الجيولوجي من حيث لذا فالتاريخ مزاجاً من العلم والأدب والفن

ورغم ذلك فقد نفى فريق آخر صفة العلم عن التاريخ تماماً مستندين إلى أن حوادثه تخضع في الغالب لإرادة أو لنزوات البشر ، سواء كانوا فرادى أو جماعات . وهؤلاء ال يمكن أبدا التنبؤ بمسلكتهم مستقبل ، وذلك لشدة مرونة الأفعال والظواهر الإنسانية وتداخلها وتأثيرها في بعضها البعض ، قوانين عامة يمكن تطبيقها على الظواهر مستقبل ، كعلم الاجتماع ، وعلم النفس الاجتماعي ، وعلم السياسة – كل من وجهة نظره وبحسب مناهجه الخاصة – لكنها ليست بأي حال موضوعا للدراسة التاريخية التي ال يهمها سوى الماضي ودراسته ، ثم تقدم خالصة نتائجها غيرها من التخصصات ليستفيد بها أصحاب هذه العلوم في دراستهم للمستقبل 15 (إن كانوا مهتمين بهذا المستقبل بحكم وبحسب طبيعة تخصصهم وفي رأينا أن تلك العلوم – علم الاجتماع ، وعلم النفس الاجتماعي ، وعلم السياسة – هي من العلوم المساعدة المهمة في دراسة التاريخ وبمقتضى نظرياتها ومناهجها يستطيع المؤرخ الإفادة منها في تفسير التاريخ؛ والقرارات التاريخية المستقبلية بناء على دراسات نفسية واجتماعية؛ وال ريب فإن التاريخ يعرف الآن عند ألمم الغربية بعلم "صناعة القرار" ؛ وهو ما يومئ بإمكانية وجود قوانين في العلوم الإنسانية كما في العلوم الطبيعية رغم الاختلاف . ففي العلوم الإنسانية ال يعني القانون نتائج محددة دائما ، وإنما يعني نتيجة تقديرية أو قواعد عامة مماثلة للقانون في العلوم الطبيعية أو قريية منه. فقد وضع ابن خلدون مثال منذ أكثر من خمسة قرون عدة قوانين ، مثل قوله: أن الدول كالإنسان ، تولد وتنمو وتكبر ثم تضمحل وتموت ، أو قوله: أن الحضارات تتعاقب عليها ثلاثة أطوار: بداوة وحضارة ثم اضمحلال. فقد رأى الفيلسوف الألماني هيجل 1770-1831 (في فلسفته للتاريخ ، أن التاريخ وأنه يجب أن نركز على ما كان القادة يفكرون فيه حين أقدموا على أعمالهم ، وأن القوة التي تدفع التاريخ هي قوة العقل ، ويعني 16 (ذلك أن كل شيء يحدث وفق إرادة الإنسان أي حريته ، . أما الفيلسوف والمؤرخ الألماني كارل ماركس 1818-1883 (فقد اهتم بالعامل الاقتصادي في تسيير حركة التاريخ. فالتاريخ عند ماركس هو الأعمال ، ومن هذه الصالت الاجتماعية تتولد الأفكار والمبادئ ، وهو ما يطلق عليه التفسير المادي للتاريخ. بمعنى أن الظروف الطبيعية القاسية وتحدياتها هي التي تحفز الإنسان على العمل والإبداع ، فتعمل على إعادة بناء نفسها كي تتمكن من مواجهة التحدي ، كما أن الضغوط الخارجية تولد شرارة الحضارة ، فكلما ازداد التحدي تصاعدت قوة الاستجابة 17 (. لكننا ال نستطيع أن نزع أن تلك القوانين دائمة وتنطبق على كل العصور ، وتفسر لنا كل الأحداث ، فهي قوانين تنطبق على مراحل تاريخية محددة أو على شعوب معينة ، وهو ما يقال مثال على قوانين ابن خلدون من أنها ال تنطبق إل على المجتمعات التي شاهدها ابن خلدون ودون سيرتها ، مثل العرب و البربر . كانت تلك القوانين قوانين مرحلية أو تنطبق على شعوب معينة ، فهي خطوة على الطريق نحو القوانين الدائمة التي نتوقع أن يتوصل إليها الإنسان في المستقبل. عددا من القوانين العامة مستخلصة من التجارب الإنسانية ، وهو ما يعتبره بعض المؤرخين 18 (أن هناك عالقة دائمة بين الاستعمار العالمي وبين الحركة الصهيونية ، وأن هذه العالقة ما تزال قوية ومتنامية رغم مرور ما يقرب من مائة عام عليها وأنا ال نعرف موقفا واحدا تخلق فيه الاستعمار العالمي عن تأييد الحركة الصهيونية و مساندتها. 19 (أن الحكم الاستبدادي قد يبني أمة أو يبني مرحلة تاريخية معينة ، يبني الإنسان ، ويمكننا تطبيق هذه المقولة إذا أرخنا لنابليون بونابرت ، أو أو هتلر ، وغيرهم من عتاة الحكم الاستبدادي. يصعب الوصول إلى حكمها لكن يسهل قيادتها. في جوانبها المختلفة ، ومن هذه الدراسة قد نتوصل إلى مجموعة قوانين يكون لها في نهاية الأمر نظرية معينة . فدراسة الجانب الاقتصادي للعالم أو لمنطقة معينة ، القوانين الاقتصادية لمجتمعات مختلفة ، وهذه القوانين تتبلور في النهاية فيما يعرف بالنظرية الاقتصادية 18 (. فالجوانب المختلفة للظواهر الاجتماعية ، سواء كانت اقتصادية أو سياسية أو غيرها ليست سوى روافد متصلة بهذا النهر الكبير ، فهناك ارتباط بين تلك الظواهر جميعها ، تأثيرات متبادلة بين هذه الظواهر ، وإن كان هذا التأثير يختلف كما وكيف طبقا للقوانين العامة التي تحكم حركة هذه الظواهر ، والتي تجمعها جميعا حركة التاريخ وتطوره. وأخيرا ، فإذا كان من الممكن استخدام القوانين التاريخية بالنسبة للماضي ، فانه يمكن استخدامها أيضا للحاضر والمستقبل . وال يعني ذلك أن المؤرخ يستطيع أن يتنبأ علميا بأحداث المستقبل ، ألن ذلك أمر خارج عن قدرة البشر ، و المستقبل علمه عند هلا . و لكن الذي يمكن للمؤرخ أن يحدده – خاصة إذا استخدم بعض القوانين التاريخية – هو تحديد الاتجاهات العامة لقضية معينة على ضوء دراسته لأصول التاريخية والربط بين الظواهر المختلفة لتلك القضية ، ويعتمد هذا على تقدير موضوعي وإدراك واع للجوانب المختلفة للموضوع ، نطلق عليه ((التاريخ المستقبلي)) (، وهو ما يعني إمكانية التأريخ للمستقبل بالنسبة لقضايا معينة وإلمام بمصادرها الأولية ، وكان المؤرخ في نفس وقدرة كبيرة على الفهم والتحليل والتفسير والنقد ، والإدراك الواعي للعلاقات التي تربط بين الظواهر المختلفة 19 (. موضوع التاريخ: للخالف إل أن ثمة اتفاقا برز من خال ل قد حير موضوع التاريخ الكثيرين و كان مثارا اعتبار أن الإنسان هو محور هذا التاريخ ، مهما اختلفت الرؤى حول هذا سواء في الماضي او الحاضر أو

المستقبل. فمن العلماء من يرى أن التاريخ هو تاريخ الفرد البطل الالامع سواء كان أو أحد الساسة البارزين أو أحد الفلاسفة، أو بوجه عام أولئك الذين لعبوا أدواراً متباينة و مؤثرة على مجرى التاريخ وأثروا في البشرية، لأفراد. وجهة نظر أخرى ترى أن التاريخ موضوعه هو المنجزات التي أحدثها الإنسان و التي لحركة البشرية ويتسع وكواكب ومن بينها الأرض وما جرى فيها من حوادث. وقد سار على نفس النهج المؤرخ ه. ج. ويلز Wells. الكون والأرض وما ظهر على سطحها من مظاهر الحياة المختلفة منذ نشأتها حتى العصر الحديث معبرا . فصار يهتم بالشعوب ال بأفراد، بالكتل الجماهيرية و القواعد الشعبية الواسعة ال القمم و الملوك. أي بدأ يتجه أخبار الطبقات الدنيا المسحوقة التي كانت و ال تزال تشكل تسعة أعشار البشر. وهي ال ريب الجموع الواسعة التي تصنع التاريخ الحقيقي. دوافع حركة ماركس الشيوعية إل إذا فهمنا العالقة مابين أصحاب المصانع و العمال في أوروبا، كذلك ال نستطيع أن نفهم دوافع الحروب الصليبية إل إذا درسنا و تعمقنا في تركيب المجتمع الأوروبي حينذاك، هذا إلى جانب أمثلة أخرى كالثورة الفرنسية التي كانت الطبقات الدنيا هي فالتاريخ ليس تاريخ دول وملوك وساسة وفلاسفة فقط بقدر ما هو أيضا تاريخ البسطاء من الفئات العادية ، لطبقة الملوك والساسة و الفلاسفة. وأيا كان الأمر فإن الإنسان سوا أم ء كان قائداً سياسياً أم فقيراً إذا فما هي مادة هذا التاريخ؟ هل ماضي الإنسان أم حاضره أم مستقبله؟ هناك مسلمة البد من الاعتراف بها وهي أن الماضي هو مادة التاريخ، لكن هذه المسلمة بحاجة إلى تحديد أكثر؛ فهل التاريخ معني بأي ماضي، أم ماضي الإنسان فقط، ثم هل يهتم التاريخ بكل ماضي الإنسان؟ نقرر بداية أن التاريخ ال يُعنى بكل الماضي بل الماضي الإنساني فقط، حيث أن هناك علوم أخرى مهمتها دراسة الماضي القديم غير الإنساني – الكائنات الأخرى- وهي ليست من الباليونتولوجيا (الحفريات)، الذي يعني باستقصاء الكائنات الحية كالحوانات والنباتات والفطريات ضمن بيئتها الطبيعية. ولما كان الإنسان وحده دون بقية تلك الكائنات هو من يعي الزمن؛ فهو الكائن الوحيد الذي يمتلك تاريخاً، فهو يصنع التاريخ والحضارة ويؤثر في البيئة. و جدير بالذكر أنه ال تاريخ فيما قبل الإنسان زمناً إن اهتمام المؤرخ في ، وهذا ما أطلق عليه اصطلاحاً "ما قبل التاريخ". المقام الأول هو الإنسان بتجاربه وأفعاله ومنجزاته، ويأتي تسجيل بعض المؤرخين بعض الأحداث الطبيعية مثل الزلازل والبراكين والكسوف والقيح والفيضانات وغيرها من الظواهر؛ إنما يأتي من باب أثرها في حياة الإنسان فقط وليس شيء آخر. وبخصوص مقدار ما يُعنى به التاريخ من ماضي الإنسان، فإن التاريخ ال يهتم بماضي الإنسان كله. فالإنسان كنوع ذو تاريخ خرى مثل علم الحفريات (الباليونتولوجيا)، وكذلك ماضي الإنسان بيولوجي هو محور علوم أ العرقي هو محور علم الإثنولوجيا. والإنسان بوجه عام كموضوع للتاريخ عني به القرآن الكريم أشد العناية باعتباره أسمى المخلوقات، و ما كان القرآن الكريم إل دستوراً معالجته من أجل السعي به للرقى و التقدم، حيث أن الهدف أسمى للعلم هو إعادة صياغة الإنسان و عالمه و الوصول إلى المعرفة الدقيقة بكيانه المادي و الروحي. إن القرآن الكريم هو و نصيح، و و دعوة، كذلك هناك سورة قرآنية حملت اسم الإنسان. و رفع الإسم الإنسان وجعله هدفه و غايته ووسيلته و أدواته و كان منهج الإسم مع الإنسان أخالقي في المقام الأول، 22 من حيث المحافظة على كيانه وكرامته وإبراز تكريم هلا له كما ورد في الآلية الكريمة؛ بسم هلا 23 هنا نصل إلى إشكالية أخرى علقدر كبير من الأهمية في عصر تحول العالم فيه إلى قرية صغيرة، عالقة هذا التاريخ بالمستقبل، وجدواه. أهمية دراسة التاريخ: بل هو من صميم مسألة النهضة، و الخروج من عثرتنا لم يعد البحث في التاريخ ترفاً التي طال أمدها، ذلك أن التاريخ ليس الماضي بل المستقبل. وعليه فإن جدوى دراسة التاريخ تنبع من غايته وهي نقل المعرفة (24)، قبل أن يكون وصفاً (25). كما أن الكشف عن عيوب الماضي وأخطائه تفيد إلى حد كبير في قائل: "إننا بسبب هذه الفائدة التي نجنيها من معرفة الماضي معرفة ثابتة نستطيع أن نستبق الحكم في أمر الأحداث المتماثلة أو المتعادلة التي ستولد في مستقبل القيم المشتركة في الطبيعة كما يذهب بعض المفكرين مثل: الفيلسوف الإيطالي بندتو كروتشي إلى اعتبار التاريخ كله تاريخاً معاصراً . وال يستطيع الإنسان أن يفهم نفسه وحاضره دون أن يفهم الماضي . الماضي تكسبه خبرة السنين الطويلة ، والتأمل في الماضي يبعد بالإنسان عن ذاته ، فيرى ما ال يراه في نفسه بسهولة من مزايا الغير وأخطائه ، ويجعله ذلك أقدر على فهم نفسه ، وأقدر على وبعبارة أوضح فإن دراسة التاريخ ال يجب أن تنحصر فقط في معرفة الماضي و إنما البد أن تسهم في فهم الحاضر الإنساني بكل تعقيداته ومشاكله، واستشراف مستقبل أفضل للبشرية(29)، وهنا تكمن مسؤولية المؤرخ في ضرورة المساهمة في إيجاد الحلول للمشكلات التي يعاني منها واقعنا العربي(30)، حيث أننا ال نغالي إذا ذكرنا أن ألقوام الذين ال يعرفون لهم ماضياً محدداً مدروساً بقدر المستطاع ، ال يعدون من شعوب الأرض المتحضرة(31). وسط هذا الزخم الكبير و التقدم الهائل و السرعة الفائقة في نقل الأحداث من كافة جنبات العالم؛ و أثر الميديا الملموس في بلورة و تشكيل وعي وعقليات الشعوب ما هي جدوى دراسة التاريخ بالنسبة للمستقبل؟ هل يعيننا هذا

الماضي أو التاريخ في المستقبل بحيث نستطيع رسمُ خُرى هل نستطيع أن صورة المستقبل من خالل هذا الماضي، بعبارة أ نستشرف أفاق المستقبل من خالل معطيات تاريخية معينة؟ إن معرفتنا بالماضي وإدراكنا لهذا الماضي تؤثر بال ريب في رؤيتنا للمستقبل وعلى إعطائه صورة أقرب مما نأمل و نتمنى. فعلى سبيل المثال نجد أن معرفة وإدراك المسلمين لماضيهم؛ يمكنهم قطعاً من استشراف أفاق المستقبل. وحضارتنا الزاهرة التي غطت بقاع شتى من العالم في آسيا وإفريقيا وأوروبا، وعندما ندرك سماحة وعدل الإسلام الذي عُومل به غير المسلمين، وهو ما وضع جلياً في مقولاتهم التي خلدها التاريخ ، من ذلك قول الإمام الشافعي: "من قرأ التاريخ زاد عقله إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الألم في أخالقهم، يستمع إلى أخبار العرب والملوك السابقين من القاص شرية للشام عشرين عاماً، ناجحاً ولذلك عرف كيف يكون والياً عشرين عاماً أخرى، وكيف يوحد الأمة، وهو ما وعاه وطبقه غيرنا من الألم الغربية في العصر الحديث، فقد تناول الأمريكي س.ل. وارس في كتابه المؤلف سنة 1962 فائدة التاريخ وأهميته قائلاً: "إذا أرادت الولايات المتحدة الأمريكية أن تصل إلى حكم العالم في يوم من الأيام، فإني أنصح أولي الأمر في بأقسام التاريخ في المعاهد والجامعات الأمريكية، وأن ال أمريكا، الأقسام إل خيرة أبنائهم وأذكاهم وأنبههم. ويذكر "وارس" في كتابه أمثلة عديدة لقادة سياسيين وعسكريين جاهلين بالتاريخ وعازفين عن قراءته، وبين كيف تسببوا لبلدانهم وشعوبهم بنكبات وهزائم وخسائر فادحة، فأحبوه، وقرأوه، الوفير. ويوضح الكاتب أن السبب في نجاح القائد العالم بالتاريخ، هو أن الأخير عندما يتخذ قراراً وتجارب مالمين القادة وآلف السنين. وهي